جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

د / حسين مبرك

المحور : مفاهيم الشعرية عند العرب حديثا

المداخلة : الشَّعرية العربية بين الإبداع والنَّقد (شعر العقاد أنموذجا)

اختلف الأدباء والنقاد في توصيف الشَّعرية العربية ، بحكم ارتباطها بكثير من النَّظريات ، وصارت لذلك محلَّ جدل وتجاذب بينهم ، وتهدف الشَّعرية فيما تهدف إليه إلى كشف ما يحتويه النَّص الأدبي ، وطريقة تحقيقه لوظيفته الجمالية والاتِّصالية ، ومن ثمَّ يمكن القول بأنَّ الشَّعرية هي البحث في قوانين الإبداع الفنِّي .

وقد ارتكزت الشَّعرية العربيَّة القديمة على النَّقد الانطباعي في بعض الأحيان ، وتدوين ما تحتويه الذاكرة الجماعية من أشعار ، ومحاولة استبعاد الكلمات الحوشية والغريبة ، بغية الحفاظ على اللغة العربية بوصفها اللغة الأم .

وقد أرسى دعائم الشَّعرية العربية القديمة نخبةٌ من الأدباء والشعراء ، منهم الأصمعي وابن المعتز ، وابن سلام الجمحي ، والمرزوقي الذي صاغ نظرية عمود الشَّعر ، التي كانت من أسس الشَّعرية العربية ، كما اشتملت على المعايير التي أسهمت في ضبط المفهوم الصَّحيح للشَّعر وقواعده ، من حيثُ شرف المعنى وصحَّته ، وجزالة اللَّفظ واستقامته ، وصدق الوصف ، والمقاربة في التَّشبيه ، وترابط الأجزاء وتلاحمها في النَّظم والوزن ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، ومشاكلة اللَّفظ للمعنى .

ولم يُتداول مصطلح الشَّعرية في التراث النَّقدي العربي القديم إلَّا مع " حازم القرطاجني" في القرن السَّابع الهجري ، يقول:" وكذلك ظنَّ هذا أنَّ الشَّعرية في الشَّعر إنَّما هي نظمٌ أي لفظ كيف اتَّفق نظمه، وتضمينه أيَّ غرض اتَّفق على أيِّ صفة اتَّفق لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم ولا موضوع .."1

إنَّها القوانين الأدبية ، ومنها الشَّعرُ ، فمصطلح الشَّعرية مرتبط بكيفية النَّظم ، وهذه الكيفية هي التي يطلق عليها في مفهوم النَّظرية النَّقدية قديما وحديثا ، قوانين ومبادىء العملية الإبداعية الشَّعرية .

ولعلَّ المتأمِّل في كتابات أبي العلاء المعرِّي النَّقدية ، يدرك أنَّ المعرِّي قد تناول عوالم الألفاظ والتَّراكيب والصور والأوزان والقوافي والخيال ، وأشار إلى السِّمات الأسلوبية للشَّاعر، وإلى مذهبه في الشِّعر ، وقضية القديم والجديد ، إلى جانب ثورة أبي نواس على نمط القصيدة القديمة ، وغريب أبي تمام ، غير أنَّ هذا المصطلح قد اتَّسع مفهومه وعمق لدى النقاد المحدثين .

لذلك فإنَّ الوعي بخصوصية النَّص قديم قدم الإبداع نفسه ، من خلال اهتمام القدامى باللغة الأدبية و الشِّعرية خاصة ، وهذا ما أشار إليه " عبد القاهر الجرجاني" بقوله :" واعلم أنَّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشَّك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتَّى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك "2 ، كما نظر " عبد القاهر الجرجاني" في فصاحة اللَّفظ والتَّركيب ، ورأى أنَّ الفصاحة أعمق وأوسع من أن تقتصر على مدلول اللَّفظ دون النَّظر إلى موضعه من النَّظم ، حيث يقول:" وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلَّا وهو يعتبر مكانها من النَّظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها ، وهل قالوا : لفظة متمكَّنة ومقبولة ، وفي خلافه لفظة نابية ومستكرهة ، إلَّا وغرضهم أن يعبِّروا بالتَّمكن عن حسن الاتِّفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والنبو عن سوء التَّلاؤم ، وأنَّ الأولى لم تلق بالثَّانية في معناها، وأنَّ السَّابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتَّالية في مؤدَّاها.."3

لذلك فإنَّ قوام الجمال الإبداعي يكمن في العلاقة الوطيدة بين الألفاظ والمعاني ، كما تناول " حازم القرطاجني" عنصر التَّخييل ، وبيَّن أهمِّيته وأثره في الإبداع الشِّعري ، إذ يقول :" الشِّعر كلامٌ موزون مقفًى ، من شأنه أن يحبِّب إلى النَّفس ما قصد تحبيبه إليها ، ويُكرِّه إليها ما قصد تكريهه ، لتُحمل بذلك على طلبه ، أو الهرب منه ، بما يتضمَّن من حسن تخييل له ،وكل ذلك يتأكَّد بما يقترن به من إغراب ، فإنَّ الاستغراب والتَّعجب حركةٌ للنَّفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها.." 4 ، أمَّا الشِّعرية الحديثة فقد اهتمَّت بشكل الشِّعر وماهيته ، فبحث النقاد في مقوِّماته ومكوِّناته ، وظلَّت هذه الحقيقة تنمو وتتطوَّر عبر حلقات الدَّرس والبحث والحوار ، الأمر الذي أدَّى في نهاية المطاف إلى تشكيل رؤية واعية تتحرَّى المنهجية والعمق في التَّعامل مع النَّص ، بوصفه حركة فاعلة تتجاوز لحظة إبداعه. واهتموا بموضوعات لها علاقة بأسلوب الكلام والنَّظم ، والوضوح والغموض ، والصِّدق والكذب ، والطَّبع والصَّنعة ، ومن ثمَّ فإنَّ الشِّعرية تتطلَّب وعيا لغويا ومهارة في قراءة النَّص وتحليله ، ومعرفة سماته الجمالية وقوانينه الدَّاخلية ، وراح النقَّاد يرصدون ظاهرة الشِّعرية ، ويرسمون ملامحها ، ويعملون على توطينها في البيئة العربيَّة في العصر الحديث ، ذلك أنَّ المفهوم السَّائد للشِّعر في عصور الضعف والانحطاط ، هو ذلك النَّمط من

القول القائم على حسن اختيار المفردات ، ونسج اللغة ، ونحت الألفاظ ورصف التَّراكيب ، بغية إظهار البراعة اللغوية ، الأمر الذي أضفى على الشَّعر طابع الصَّنعة والتَّكلف والتَّقليد ، وهو ما أشار إليه أحدهم بقوله:"..كان الشَّعر العربي في أوائل القرن التَّاسع عشر متخلِّفا بكلِّ ما في الكلمة من معنى ، فقد غدا لا يُعنى بغير التَّسلية والمجاملات ...كان الشَّعر عامَّة معنيًا بالمحسَّنات البلاغية من بديع وجناس وطباق ، والتَّمرينات الشَّكلية من تخميس وتشطير ، إلى جانب فنون البديعيات والتَّطريز والتَّأريخ والتَّراسل وغيرها من الألاعيب الشَّعرية ، ممَّا جعل الشَّعر صنعة لا فنًا.."5 ، وطرحت في هذا المجال جملة من الأسئلة ، منها : بم يُحدَّد الشَّعرُ ؟ أيُحدَّدُ بلغته ، صياغة وتعبيرا؟ أم بموضوعه ورؤاه ؟ أم بمضمونه فكرا وعاطفة ؟ أم بصوره ؟ أم بوزنه وموسيقاه؟ أم بتَأثيره في نفس المتلقِّي ؟ أم بهذه العناصر مجتمعة ؟ .

إنَّ الشَّاعر الحقَّ هو مبدعٌ ، " وليس صافًا للكلمات ، غوَّاصٌ على دُرر الألفاظ ، فمن يعجز عن التَّفكير والإبداع يعتصم بالفصاحة الجوفاء ..ومن يفُته إبداع الجديد ، يُكثر من اجترار القديم "6 . إنَّ الشَّعر قد يُحس ولا يُحدَّدُ ، وهو ما أشار إليه أحدُ النقَّاد بقوله :"قلَّما أُعنى بتحديد الشَّعر ، لأنَّه لا يُحدَّدُ ، أمَّا رُوحُ الشَّاعر فألمسُها كما أُحسُ صوت المُغنِّي في القصب أنغاما وألحانا "7 ، فالشاعر فنَّانٌ أشبه بالطَّائر الحُرِّ الذي يجوب الفضاء دون حدود ولا قيود ، لذلك لا يحق للنَّاقد أن يسأل الشَّاعر" ممَّ صُنعت حدُود الفنِّ "8 ، لأنَّ الشَّعر لمحٌ تكفي إشارتُه ، وهو " لا يعترف بشيىء من هذه الجغرافيا المحدودة لعالم الفكر "9 ، والشَّعرُ هو رديف التَّصوير يجمعهما الفن وخصائصه ، من إيحاء وجمال ، رغم اختلافهما في المادَّة

التَّمييز بين الشَّعر والنَّثر :

إنَّ الشعر يُخالف النَّثر في الغالب ، من حيث الوزن والقافية، والأداء الفنِّي ، لأنَّ قوام الشَّعر، وفرة النَّغم وسحر العبارة واتِّقاد العاطفة وشبوب الخيال "10 ، إلى جانب الوزن الذي لا شعر بدونه ، وقد حاول أصحاب هذا الاتِّجاه التَّقريب بين الشَّعر والنَّثر ، ذلك أن النَّثر ليس نقيض النَّظم ، إنَّما هو نقيض الوزن ، لأنَّ ليس كل كلام انتظمه الوزن ورصفت قوافيه كمداميك البنَّائين بشعر"11

ومن ثمَّ فالأوزان أداة لحفظ التَّوازن والتَّناسق في التَّعبير عن العواطف والأفكار ، يعتمدها الشَّاعر بغرض تلحين مادة شعره ، ويمكن التَّخلِّي عن هذه الأداة ، حين تتوافر وسائل أخرى ، لأنَّ النَّفس " لا تحفل بالأوزان والقوافي بل تحفل بدقَّة ترجمة عواطفها وأفكارها"12 ، وربَّما وجد من النَّثر الفني ماهو جميل البناء ، محكم النَّسج ، راقي اللغة ، بديع التَّصوير ، كان فيه من الشَّعر أكثر ممَّا في قصيدة من مئات

الأبيات ، وتكمن معيارية التَّمييز بين الشَّعر والنَّثر في الإيقاعات والإيحاءات والموسيقى التي لا تقتصر على الوزن فحسب .

أما الشَّعر فهو توتر، يطَّرح الوعظ والنصح والتقرير والخطاب المباشر ، ويبني " علاقته بالآخر على جسور أعمق غورا في النَّفس ، أقلَّ تورَّطا في الوقت والقيمة العابرة ، أكثر ماتكون امتلاكا للقارىء ، تحريرا وانطلاقا به ، بأكثر ما يكون من الإشراق والإيحاء والتوتر "13 ، إنَّه تعبير غير مباشر ، وهو فعل تحرر بالدَّرجة الأولى ، وحفل التقاء وانتقال إلى الآخر "14 ، وقد ظهرت بعض الآراء الحداثوية التي تتبنَّى الدَّعوة إلى إدماج الفنون الأدبية ، وذلك بنقل سمات وخصائص الحداثة في الشَّعر إلى القصَّة والرَّواية والمسرحية ، بالنَّظر إلى اختفاء الفوارق بين هذه الفنون من حيث البنية والأداة التَّعبيرية ، والأشكال الفنية ، والمحتوى خصوصا الموقف إزاء العالم "15

ومن أوجه الحداثة الشَّعرية في النَّقد العربي الحديث ، رؤيته إلى أنَّ الموسيقى الشَّعرية لم تعد مستمدَّة من الوزن والقافية فحسب ، بل غدت في رأيه " نابعة من الوزن والصور والمعاني والأفكار والأصوات والوقفات.."16 ، وتناغما مع هذه الرؤية ، تناول النَّقد قضية الإيقاع ، والمتمثِّل في الموسيقى اللَّفظية التي تهيِّىء نفس السَّامع ، وتجعله في الحالة الشَّعرية الخاصَّة قبليا بالشَّاعر 17

ومن ثمَ فالإيقاع يسهم في التَّوحيد بين نفس القارىء والواقع ، من خلال تكرار الأصوات المنسجمة في الحروف ، بالرغم من إهمال المعنى ، والنَّغم متى اتَّسق وتناسب واتَّزن أطرب وهزَّ ، وهيَّأ الحالة الشعرية التي دفعت الشاعر إلى الإبداع ، ويتيسَّر للمتذوق أن يشارك المبدع في حالته ، وأن يتمَّمها بحسب مؤهلاته وقواه الاستيعابية ، فيصبح خلَّاقا إبداعيا فنَّيا بدوره"18 . إنَّ وظيفة الشَّعر هي خلقُ عوالمَ ، وتشكيل صور ، وتأليف كيانات ، وصياغة تجارب بطريقة بديعة ، تستمد مادَّتها الخام من الحياة ، " لأنَّ الشَّاعر كيماوي ، ألفاظه الأجسام ، يؤلِّفُ منها مخلوقات جديدة ، وهو كالنَّباتي الذي يُخرج من نباتين نباتا ثالثا له خواصُهما ، ولكنَّه غيرهما "19 . إنَّ الشَّعرية هي طريقةٌ في الخلق تجمع بين رؤية الحقيقة الموضوعية ، وموقف الإنسان ، انفعالا وتعاطفا ، ائتلافا واختلافا حيال هذه الحقيقة ، ومن ثمَ يبدو الشَّعر الحقيقي ليس سوى اتِّصال وجداني ، واع بين ذات الشَّاعر والموقع الحياتي والإنساني ، وإدراك لحركة " النموَ والتَّطور في كلَّ كائن ، وتبصر بأنَّ هذه الحركة تتَّصلُ بالماضي ، وتحيا الحاضر ، وتستشرف آفاق المستقبل "20 ، بل إنَّ الشَّعر يُبنى على عمليات ثلاث ، فكرية وشعورية وفنَّية ، ومناط الجودة يكمن في عملية التَّعبير والأداء الفنَّي ، وإذا أخفق الشَّاعر في هذا الجانب بطُل شعرُهُ .

ويقومُ على خصائص وعناصر غنائية ، وأبعاد وجدانية وإنسانية ، بلغة مفعمة بالرموز والرؤى والإيحاءات ، لذلك عُدَّ الشعرُ في أعمق رؤاه وأبعد سبحاته هو أقوى وأقدر ألوان المعرفة على " اختراع عالم جديد من واقع العالم "21 ، عالم يستنكف فيه عن التَّقريرية والخطابية ، ويقفز فيه على حدود الزَّمان ، وقيود المكان ، ليتعمَّق ظواهر الحياة وتجاربها، إذ " ليس الشعر أن نحملق في الأرض مفتَّشين عن سنابل ساقطة لنلتقطها بأصابع رخوة وجبين مُغبر ، بل أن ننظر إلى السَّهل المنبطح أمامنا ، فنبذر فيه حبوبا سليمة بكفً كأنَّ كُلَّ أصبع منها سهمٌ يبلغُ أبعدَ مداهُ..."22

ومن الثنائيات التي شغلت النقاد في إطار الشعرية ، ثنائية المبنى والمعنى ، وأوحت إليهم هذه الإشكالية بطرح تساؤلات ، ظلَّت تبحث عن إجابات حاسمة ، وكلها ترتبط بمصدر الجمال في الأدب ، وقد أدَّى تطور الحوار النَّقدي في الأدب العربي الحديث إلى بروز قضايا تتَّصل بالقالب والمحتوى واللَّفظ والمعنى ، والدَّال والمدلول ، والرؤية والتَّشكيل ، والرؤية والبنية ، وغيرها...، وقد ذهب جل الدَّارسين إلى العلاقة الوثيقة بين المبنى والمعنى ، ورأوا أنَّ الأدب " تعابير حيَّةٌ لصور ومعان حيَّة "23

، بل إنَّ مصدر الجمال والمتعة والتَّأثير تكمن في التحام المبنى والمعنى ، واقتضاء كُلَّ منهما للآخر ، ومن ثمَّ وجب سدُ الثَّغرة القائمة بين المبنى والمعنى ، فتتَّحد الصورة بالفكرة ، وتمتزج الكلمة بالمعنى ، وهو ما أشار إليه أحد هؤلاء الدَّارسين بالقول :" أمَّا مجال الشَّعر فمجالٌ داخلي ، جمال نفسي، يشع من الألفاظ كالخمرة في كأس بلورية فتتَّحد الألفاظ بالمعاني اتِّحادًا كليا ، فتصير كخمرة الصَّاحب بن عبَّاد وإنائها"24 ، ومنه فإنَّ الجمال في الأدب يتأتَّى من خلال تجاذب الشَّكل والمضمون وتلاحمهما وانصهارهما في بوتقة واحدة

إنَّ الشعريَّة العربيَّة الحديثة تعني أنَّ النَّص يُعرَّف بالموضوع والشَّكل ، والمعنى والنَّغم ، والغاية والوسيلة ، وما يشتمل عليه من تحقيق لنظرية العلاقات بين مظاهر الكون ومدى انفعال الذَّات بها ، ولا يتوقَّفُ على وجود الوزن والقافية في الشعر ، أو عدمه ، لأنَّ النَّص الشَّعري هو " أكثر من وزن وقافية ، هو حركة القصيدة ، وطريقة تكونها ، وعلاقة أجزائها ببعض ، والأصوات الدَّاخلية فيها، ثم صورها وطبيعة هذه الصور ، وأبعادها ، وتراكيب هذه الصور ، وهي كلها من عناصر الشَّكل في القصيدة الحديثة "25 ، وهو المفهوم الحداثي للشعرية الذي يراعي علاقة القصيدة بقائلها ، وبمصدرها وماهيتها ، ودورها في عملية التَّواصل بين الشَّاعر والمتلقَّي .

وقد حفل الشعرية الحديثة بالوحدة العضوية ، والمتمثَّلة في ضرورة توافر الرَّوابط الفنَّية بين معاني القصيدة وأبياتها ، والتَّخلص من استقلالية الأبيات وانفصامها ، والاهتمام بالوحدة في العمل الفنَّي ، التي هي أبرز سمات الشعر الحديث ، وبموجب

الوحدة العضوية تغدو القصيدة مشروعا هندسيا ، ذا تصميم كامل لا يتغافل عن التَّفرعات والأجزاء ، حينها تغدو القصيدة تركيبا شديد الحساسية ، زيادة حرف واحد يسلبها حرارتها ، وزيادة مقطع واحد يخلخل تماسكها واستقرارها"26

أمَّا توصيل الشعر وتذوقه من المتلقَّي ، فهي قضية تناولها النقاد الحداثيين في إطار الشعرية ، ورأوا أنَّ المشاركة بين الشاعر والقارىء والتَّجاوب بينهما يتحقَّق ، عندما يتمثَّل الشاعر النَّزعة الإنسانية ، ويمنح صوره وأحاسيسه قيما فنية جديدة ، تزيد التَّجربة الذَّاتية غنى واكتنازا ، حتَّى يجعلها جزءا من اهتمام القارىء مثلما هي جزء من اهتمامات الشاعر ، وبما أنَّ الشعر هو تعبير عن حالة نفسية ، تمَّ سبكها في لغة غنائية موسيقية ،فإنَّ الشاعر يعتمد هذه الغنائية والانسيابية أداة لإثارة حالة مشابهة عند المتلقَّي ، ومن ثمَّ فإنَّ الأثر الفنَّي هو جسر تمر عبره علاقة حُبَّ بين الفنَّان و القارىء ..

التَّهميش :

1-حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، المطبعة الرسمية ، الجمهورية التونسية ، 1966 ، ص 32

2- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1954، ص 67

3- المرجع نفسه ، ص 80

4-حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 37

5-مارون عبود : صقر لبنان ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ، 1950 ، ص 40

6- مارون عبود : على المحك ، دار المكشوف ، دار مارون عبود ، د/ ط ، د/ ت ، ص 31

7 – مارون عبود : دمقس وأرجوان ، دار مارون عبود ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د / ط 1970 ، ص 273

8 – خليل أبو جهجه : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 ، ص 93

9- المرجع نفسه ، ص 93

10- المرجع نفسه ، ص 95

11- المرجع نفسه ، ص 102

12- عمر فاخوري : الباب المرصود، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د / ط ، د / ت ، ص21

13- أنطون غطاس كرم : الرمزية في الأدب العربي الحديث ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1949 ، ص 153

14- سعيد عقل : مقدمة المجدلية ، المكتب التجاري ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1960 ، ص 13

15- أمين الريحاني : أدب وفن ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1957 ، ص 55

16- الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد ، ص112

17- المرجع نفسه ، ص 113

18- مارون عبود : نقدات عابر ، دار مارون عبود ، دار الثقافة ، بيروت ، 1967 ، ص 47

19- مارون عبود : مجددون ومجترون ،دار مارون عبود ، دار الثقافة ، بيروت ، ط5 ،1979 ، ص127

20- خالدة سعيد : حركية الإبداع ، دراسات في الأدب العربي الحديث ، دار العودة ، بيروت ، ط1 ، 1979 ، ص 62

21- المرجع نفسه ، ص 30

22- مارون عبود : على المحك ، ص70

23- خليل أبو جهجه : الشعرية العربية بين النقد والإبداع والتنظير ، ص 146

24- مارون عبود : على المحك ، ص 48

25- إلياس أبو شبكة : دراسات وذكريات ، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ،ط2 ، 1970 ، ص231

26- خليل أبو جهجه : الشعرية العربية بين النقد والإبداع والتنظير ، ص150

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف-المسيلة

1985

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مخبر الشعرية الجزائرية

Laboratoire de la Poétique Algérienne

Université de M'sila

مخبر الشعرية الجزائرية

شهادة مشاركة

يشهد السيد مدير مخبر الشعرية الجزائرية، والسيد عميد كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة،أن الدكتور:**حسين مبرك**-جامعة المسيلة ،قد شارك في أشغال الملتقى الوطني الثاني-**الشعرية بين النظرية والتطبيق**-، من تنظيم مخبر الشعرية الجزائرية بالتنسيق مع كلية الآداب واللغات-جامعة محمد بوضياف المسيلة،وذلك يوم:2019/04/22م،بمداخلة موسومة ب:**الشعرية العربية بين الإبداع والنقد.**

المسيلة في:2019/04/22م

عميد الكلية

عميد كلية الآداب واللغات بالنيابة

عمار بن لقريشي

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

أ.د. فتحي بوخالفة

https://www.univ-msila.dz/ar/?p=9249
رابط ملتقى الشعرية